المصلوب

قصة بقلم نجيب كيلاني

القى « عاهد الشاكر » بجسده على المقعد الوثير وتنهد ، ثم دار بنظراته القلقة في أرجاء غرفة الاستقبال البسيطة الاثاث ، ولم يكترث لبعض الصور الشمسية ذات الاطارات المذهبة ولا اللوحات الفنية المعلقة بعناية وفن .. لقد وقع بصره على الساعة الكبيرة المثبتة في الحائط ... لشد ما يزعجه انها تدق ، وان عقربها يتحرك، انها تجعله يشعر بمرور الوقت .. معنى ذلك ان عمره يتناقص ، والدقيقة التي تذهب لن ترجع ابدا .. مستحيل ان ترجع .. فالزمن لا يسير الى وراء ... وشرد بذهنه الى بعيد .. الى الجبل والكهوف الصغيرة.. وبحر الرمال الاصفر .. هناك لا شيء اسمه الزمن ، ليس لديهم ساعات كبيرة تدق ، ولو تصادف ونظر احدهم الى ساعته لما شغل عقله سوى موعد هام .. خطير لا يقترن بالعمر او الثواني .. في الجبل يعملون ، يفكرون بحذر ، الكلام قليل .. والحركة دائبة ليل نهار والزمن متصل لا يلفت النظر .. لا يذكرون الطعام الا اذا صرخت معداتهم ، ولا يغفون الا اذا ثقلت جفونهم على الرغم منهم..

ودخلت « وديعة » ، كانت اشراقتها كبسمة الفجر، وهمست وهي تضع اقداح الشاي :

ـ دائما تأتيني بملابس الميدان .

قال ، وهو يغتصب ابتسامة قصيرة :

ـ لانه ليس لدي غيرها .

ـ المهم ان تأتي .. لكنك متوتر دائما .

ـ أيبدو ذلك علي حقيقة ؟..

ـ شيء طبيعي .. ان حياتكم معلقة بخيط رفيع .

ـ حياتنا ؟؟

ـ أجل ...

لكم يحب خطيبته « وديعة » ، الحياة معها اغنية حالمة ، والنظر الى وجهها يروي ظمأه الخالد ، لكن الحب بلا سلام مأساة ، واشباح الماضي تعذبه ، ورؤيته لدم الضحايا بالامس القريب تؤرق عليه سعادته .. وتمتم :

ـ أتعرفين لماذا أنا متوتر ؟؟

ـ قلت لك ..

ـ كلا .. السبب هو عجزي ..

ـ لكنك أشجع الرجال .. أنهم يحنون رؤوسهم لبطولتك في قداسة ..

قال بعد ان جرع من القدح جرعة ساخنة :

ـ هذا وهم .. لعل بطولتي وليدة عجزي .. كنت وأنا صغير انظر الى الجبل ، وتنتابني رغبة شاذة في ان ازحزحه من مكانه .. تصوري !! وحاولت ذات مرة ان أقتلع شجرة ضخمة .. كان الناس يضحكون من غبائي.. ولن انسى يوم ان ذهبت الى حائط المبكى « في القدس » واخذت اضغط عليه بذراعي النحيلتين . كان الصبية ايضا يسخرون من سذاجتي .. وعندما كبرت ورأيت اشياء كثيرة في الحياة ملأت نفسي بالغيظ ، كنت احاول سحقها .. ولكن عجزي كان يقيدني ..

قالت « وديعة » وهي تداري ابتسامة فاتنة :

ـ لانك تفكر بيدك .. هذا سر عذابك وعجزك ..

ـ بل عقلي هو مصدر شقائي .. أن تمزيق فلسطين « حماقة » ..

ـ لعلك تريد ان تؤدب العالم كله ..

ـ يا ليت ..

ثم اقتربت منه ، واخذت تمسح على شعره الغزير الاسود ، وتنفض عن سترته الصفراء بعض الغبار والشوائب وهمست في اذنه وأنفاسها الحارة تبعث القشعريرة في جسده :

ـ يا حبيبي .. لست الها ..

ـ أجل .. انسان ذليل .. عاجز ..

ـ هذا لانك تريد ان تزحزح الجبل ، وتهدم حائط المبكى ، وتؤدب العالم .. أليس هذا مضحكا ؟ يكفي ان تخوض المعركة كرجل ..

وشعر بيدها تلامس ساعده الكثيف الشعر ، كانت تتطلع اليه في نشوة ، لكن ملامح وجهه لم تزل متقبضة متوترة دائما .. وانبعث في قلبه خاطر مزعج « انها الليلة الاخيرة يا عاهد .. قد لا تلتقيان بعدها .. لتدع هذا الهم والجمود .. وعاملها كشريكة للمستقبل .. » وطوقها بذراعيه ، وضمها الى صدره ، وضغط على ثغرها الدقيق بشفتين مرتعشتين وعندما افاق نظر اليها وهو يغالب دموعه :

ـ انت رائعة .. لكم أحبك !!

ـ كلماتك تسكرني : ان طعمها غريب .. لذيذ .. ما كانت بهذه الحرارة يوما ما ..

ـ لانها .. لانها ...

ولم يستطع ان يكمل ، كان يريد ان يقول لانها الاخيرة ، وانها ليلة الوداع .. ربما .. لا يعود ثانية . ولم تتركه ، بل همست وعيناها تتوهجان :

ـ أكمل حديثك .. قل .. وحياتي عندك .

ـ اعني . لانها نابعة من قلبي ..

وساد الصمت لحظات ، كانت « وديعة » تسبح في احلام وردية ، وكان « عاهد » يحترق بعذاب الصراع الفكري الرهيب ، وذهلت وهي تسمعه يقول :

ـ اني افكر .. ما دمت عاجزا عن قهر كل شيء .. فلاسخر من كل عقبة تتصدى لي .. السخرية تخفف العذاب ، وتحقق انتصارا جزئيا .. ثم انها لا تحتاج الى عضلات قوية ..

وقالت في حيرة :

ـ ما معنى ذلك ؟؟
ـ الموت مثلا ..
ـ اوه .. لا تذكره .
ـ الموت قدر يا عزيزتي ، لا مفر منه .. انظري الرجال يموتون في الميدان وهم يتمنون الحياة .. الاطفال الصغار يلفظون انفاسهم وهم يصارعون .. مستحيل ان نقهر الموت .. ولهذا تريني اسخر من الموت لا اكترث له كثيرا .. أن اعظم انتصار على الموت هو ان نموت دون اكتراث ، وخوف .. لماذا ؟.. لماذا نخاف ؟؟
واتسعت ابتسامتها وهي تقول :
ـ هذه بطولة خارقة .
ثم أردفت محذرة :
ـ لكن ليس معنى ذلك أن تتهور .. لن يكون الموت عند ذاك الا انتحارا ولن يسمى استشهادا بأي حال من الاحوال .
ـ انت تغالطين ..
ووثبت وديعة وجلست فوق جانب مقعده وقالت وهي تلتصق به وتحيطه بذراعيها :
ـ سمعت ان اليهود رصدوا جائزة ثلاثة الاف جنيه استرليني لمن يقبض عليك .
قال دون اكتراث :
ـ آه لو تعلمين ؟؟
ـ ماذا ؟؟
ـ نحن في حاجة ماسة الى المال والسلاح .
وظهر على ملامحه وفي عينيه التوتر والقلق من جديد ، وعادت نظراته الى الساعة الكبيرة المثبتة في الحائط ، انها لم تزل تدق ، وعقاربها تتحرك في بطء .. لكنها تتحرك .. مضى من عمره منذ جاء الى هنا ساعة كاملة .. آه .. الزمن .. ذلك الشبح المخيف .. انه خالد .. لكنه بالنسبة لنا نحن البشر . المخلوقات التعسة .. يفنى .. له نهاية ..
وقالت وديعة :
ـ والتبرعات ؟
ـ تكفي لشراء قرب الماء ..
ـ لكن لا بد من استمرار المعركة ..
قال في حدة :
ـ اجل .. لا بد .. وبأي ثمن.. ولو بعنا حياتنا.. أتعرفين ان ...
ثم سكت ، كانت نظراتها متعلقة بشفتيه ، وعندما صمت هتفت :
ـ أعرف ماذا ؟؟
قال في اقتضاب :
ـ لا شيء .
ـ أتخفي امرا ؟؟
ـ ربما ..
ـ عن حبيبتك يا عاهد ؟؟
ـ اجل .. لاني احبها .. ولا أطيق ان ارى الدموع تبلل هذه الاهداب الجميلة .. يا .. ياحياتي .
ثم مال وقبلها من جديد لعلها تنسى سؤالها ، فهو لا يريد ان يتكلم اكثر من ذلك ولا يريد ان يخبرها بالحقيقة كلها ، لو علمت لاصابتها لوثة من الجنون ، بل ربما وضعت حدا لحياتها بنفسها .. وقال :
ـ اعذريني ..
قالت وهي مطرقة في الم :
ـ أعلم أن هناك خيانات ..
ـ اجل ..
ـ وان الغد مخيف ..
ـ والموت يجب ان نهزمه بالسخرية .. بأن نموت عندما يجب ان نفعل ذلك ..
التفتت اليه وقد اتسعت حدقتاها :
ـ انك تخيفني ..
ـ لماذا ؟؟
ـ هذه فلسفة مفزعة .. لا مجال للفلسفات في الميدان .. حارب بشجاعة وبحرص : هذا هو كل ما يجب ان تفعله ..
وعاد ينظر الى الساعة من جديد ثم هب واقفا وقال:
ـ لقد آن الرحيل ..
وبدت نذر الدموع في عينيها وتمتمت :
ـ أتسافر الليلة ؟؟
ـ بعد منتصف الليل بساعة واحدة ..
ـ ومتى تعود ؟؟
قال في نبرات حالمة ذاهلة :
ـ كل مساء ..
ـ أتسخر مني ؟؟
ـ كل مساء يا عزيزتي .. فالارواح لا تعرف الزمن ولا المسافات ..
ـ أنت تبعث الرعب في قلبي ..
قال وعيناه مسمرتان على العقارب :
ـ وستصلك رسالتي قريبا ..
ـ هذا يبهجني ..
ـ الى اللقاء ..
ولم تستطع ان تتكلم . كانت الدموع المتدفقة في عينيها وقلبها تسد مسالك صوتها .
عندما بلغ رفاقه في الجبل هتف في حزم :
ـ كل شيء جاهز ؟؟
قال الملازم المتطوع «عدنان» وهو مساعده في القيادة:
ـ اجل .. لكن الرفاق يرفضون .
ـ هذا لا يهم .. لقد دبرت كل شيء .. انا مقتنع تماما .. لا أنكر انه تصرف غريب بعض الشيء لكن رغبة جامحة تدفعني اليه .. ثم لا تنس اننا في حاجة الى ثلاثة الاف جنيه استرليني .. مثل هذا المبلغ سيطيل أمد المعركة ويجعلنا نحتل بعض المواقع .. حسنا .. انهم يريدونني حيا .. ومن يشي بي ، او يسلمني اليهم سيأخذ هذا المبلغ .. انت الذي سوف تشي بي .. ستسلمني لهم يا عدنان .. معذرة انك ستمثل دور الخيانة وستأخذ

مكتبة روكسي

اطلبوا عنها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريق الشام

صاحبها : حسن شعيب

آلاف الجنيهات لتشتري السلاح لرجالنا .. وحياتي لا تهم .. انا واحد من آلاف عديدة يعيشون المعركة وجحيمها وكثيرون يموتون .. لافرض اني قتلت في احدى المعارك .. سأستشهد فحسب . اما الان فسأموت وستقبضون ثلاثة الاف جنيه .. اني مقتنع تماما .. وسأنفذ خطتي سواء اعترضتم او وافقتم .. قل هذا للرفاق .. انا القائد وأوامري لا تقبل المعارضة .

واطرق « عاهد » برهة ثم رفع رأسه ليقول :

ـ ثم لا تنس الامل في النجاة .. ألم نتفق على خطفي وانا في طريقي الى السجن او الهروب من السجن ذاته ؟؟

ـ قد نفشل في انقاذك ..

ـ كل شيء جائز يا عزيزي .. قلت لك عشرات المرات يجب ان نسخر من الموت ، الموت هو الزمن وقد اقسمت .. والله معنا ..

ولم تنس « عاهد » في تلك الليلة ان يكتب الى « وديعة » خطابا طويلا شرح لها فيه كل شيء ، ولم تنس ايضا ان يذكر اللحظات الحلوة التي قضياها معا مؤكدا لها ان هذه اللحظات فوق الزمان والموت . انها الوجود بلا نهاية . واعتذر لها من كتمانه لهذا الامر وانهى خطابه بقوله : « عندما يصلك خطابي هذا سيكون كل شيء قد انتهى . لكن الصراع من اجل ترابنا الغالي ومقدساتنا لن ينتهي ابدا والسلام . » .

في الليلة التالية كان الرجال رابضين في موقعهم العنيد ، والظلام يصبغ كل شيء ويكاد القلق يقتلهم .. كانوا ينتظرون .. متى يعود القائد ؟؟ « أحقا يعود عاهد .. آه .. الشرفاء الاصلاء الذين يصعدون الى القمة لا يعودون الى السفح .. مستحيل .. مستحيل » .

هكذا غمغم أحد الرجال ، وفي قلب الظلام الاسود برزت كتلة تتحرك أشد سوادا ، وصرخ احد الرابضين :

ـ من القادم ؟؟

ـ عدنان ..

لقد عادوا ، ولهثت دقات القلوب ، وارتعشت الايدي وحملقت العيون عبر الظلام باحثة عن الرجل .. عن القائد .. عاهد الشاكر .. وحينما توقف الركب صرخ رجل آخر من المنتظرين :

ـ اين هو ؟؟

قال الملازم المتطوع عدنان :

ـ هناك .. في الميدان الكبير بالمدينة .. لقد صلبوه .. ورفعوه على قوس خشبي عال .. كانت جثته معلقة في الهواء كعلامة النصر الخالد ..

ثم انفجر باكيا ، وأمسك برزمة من اوراق البنكنوت ورمى بها في عصبية وهو يقول :

ـ « الثمن .. »

القاهرة

نجيب الكيلاني

صدر حديثا

ديوان الشعر العربي

الكتاب الأول

اختاره وقدم له علي أحمد سعيد (ادونيس)

أول عمل من نوعه في تاريخ الشعر العربي

أثر عظيم يكشف عن حقيقة الشعر العربي ويدل على مكانته في صدارة الشعر الغنائي الكبير في العالم كله ، وفي مختلف العصور.

٦٢٦ صفحة من القطع الكبير ـ ١٠ ليرات لبنانية

المكتبة العصرية ـ تلفون ٢٣٧٥٤٥